# التكوين السيكولوجي للمدرسين

محمد مومن
أستاذ باحث
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
الدارالبيضاء

## مقدمة

تقر السياسات التربوية، في جميع بلدان العالم المعاصر، بأن إصلاح أنظمتها التعليمية يتوقف، في جزء كبير منه، على تكوين مدرسين قادرين على تطبيق هذا الإصلاح، وإخراجه إلى حيز الوجود، وتحويله من شعارات وأمان، إلى واقع عملي ملموس وممارسة فعلية داخل الأقسام الدراسية في المؤسسات التعليمية. لم يكن المغرب ليتأخر عن الركب، فجعل من بين أولويات سياسته التعليمية تكوين الأطر التعليمية ؛ لأنها عماد تكوين بقية الأطر، ولأن الإعداد الجيد لها يجعلها أكثر فعالية، وأعلى مردودية، ويمكّن من رفع المستوى الدراسي للتلاميذ، وبالتالي تحسين أداء النظام التعليمي المغربي (Baina, 1981, p.437). كانت النتيجة أن تصدر مشكل تكوين المدرسين مخططات الدولة المغربية، فأقرت مبدأ التكوين، والتزمت بوجوب «أن يستفيد كل مدرس من تدريب بيداغوجي عملي قبل إلحاقه بالوظيفة» (المخطط الخماسي، 1968، ص. 603)، بل إن إيمان وزارة التربية الوطنية بجدوى التكوين دفعها إلى أن تجعل منه فرض عين بالنسبة لكل من يتخذ من التدريس مهنة له، وأن تعقد النية على «ألا تسند أية مسؤولية تربوية أو إدارية إلا على أساس إعداد محدد الهدف والبرنامج» (وزارة التربية الوطنية، 1983، ص. 71). وتجسيدا لمبدأ تكوين المدرسين، الذي ظل يمثل أحد ثوابت السياسة التعليمية في المغرب، أنشأت وزارة التربية الوطنية مديرية أنيطت بها مسؤولية تكوين الأطر التعليمية على اختلاف مستوياتها، واستحدثت مؤسسات التكوين المختلفة : مراكز تكوين المعلمين، المراكز التربوية الجهوية، المدارس العليا للأساتذة، السلك الخاص، كلية علوم التربية، وأخيرا المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين.

لقد أدى الاعتراف بأهمية وضرورة تكوين المدرسين للقيام بمهامهم وأدوارهم التربوية، التي تتنوع وتتعقد باستمرار، إلى انحسار التصور الذي يزعم أن «المدرس مطبوع لا مصنوع»، وأن التدريس «موهبة» إما أن تكون لدى الفرد بالفطرة أو لا تكون، ولا يمكن اكتسابها بواسطة أي تكوين خاص. مقابل ذلك، ظهرت إلى حيز الوجود تجارب تكوينية متعددة، وتبلورت مقاربات ونماذج وتصورات نظرية متنوعة حول تكوين المدرسين، من حيث معناه وأهدافه وبرامجه واستراتيجياته، الخ.. في أفق تطويره للنظام التعليمي، وتجويد الخدمات التي يقدمها من خلال مخرجاته. من بين هذه المقاربات المقاربة السيكولوجية، التي انتقل معها مفهوم تكوين المدرسين من التركيز على المعارف والمهارات المهنية إلى الاهتمام بشخصية المدرس. فما هي دواعي ومبررات التكوين السيكولوجي؟ وما هي الأهداف التي يتوخى تحقيقها؟ وما هي الطرق والأساليب التي يستعملها؟ وما هي حدود إسهامه في تطوير تكوين المدرسين؟

## 1. دواعي ومبررات التكوين السيكولوجي

أدت التحولات التي لحقت المجال التربوي التعليمي، والتي تمثلت في ازدياد عدد التلاميذ المتمدرسين، والتأثير المتزايد لوسائل الاتصال الجماهيري في التعليم، ومراجعة غايات وأهداف المدرسة، وتطور مكانة الطفل والمراهق، وحدوث طفرة حقيقية في الوظيفة التعليمية، وتطور أدوار المدرسين، أدت إلى إماطة اللثام عن القصور الذي تعاني منه المقاربة «التقليدية» للتكوين، في بعديها الأكاديمي والبيداغوجي/الديداكتيكي، والمرتكزة على المعرفة والمهارات التعليمية، وكشفت عن تعثر وإخفاق السياسات والتجارب التكوينية التي استلهمتها ؛ الأمر الذي فرض ضرورة إعادة النظر في هذه المقاربة، وبناء تصور «حديث» عن التكوين، يشمل، بالإضافة إلى المعرفة (le savoir) وطرق وتقنيات التدريس (le savoir-faire)، بعدا جديدا يتعلق بتنمية شخصية المدرس (le savoir-être)، وقدرته على التغيير المستمر (le savoir-devenir) لمواكبة التحولات التي تعرفها مهنة التعليم، ومواجهة الوضعيات التعليمية التعلمية المتنوعة والمتغيرة باستمرار، والاضطلاع بالأدوار التربوية الجديدة.

هكذا، انضاف إلى التكوين الأكاديمي والبيداغوجي/الديداكتيكي للمدرسين التكوين السيكولوجي (La formation psychologique)، الذي أصبح فيه «الشخص برمته، في أسس شخصيته ذاتها، هو المعني بالعمل التكويني» (Mialaret et coll., 1979, p.232)، على اعتبار أن اكتساب المعلومات والمهارات اللازمة للقيام بمهمة التعليم لا يمكن فصله، بأي حال من الأحوال، عن التغيرات التي تحدث على مستوى شخصية المدرس واتجاهاته وتمثلاته وأدائه الوظيفي النفسي (son fonctionnement psychique).

يستمد التكوين السيكولوجي أهميته من الدور الوازن والفعال الذي تلعبه شخصية المدرس في العملية التعليمية والعلاقة التربوية، الأمر الذي يستوجب الاعتناء بنموها وتوازنها، والسعي إلى تحصينها مما قد تتعرض له من اضطرابات ناتجة عن التغير الذي تعرفه مهنة التعليم، والتطور الذي تشهده مهام وأدوار المدرس، والشروط المادية والمعنوية الصعبة التي يعمل فيها، والإشكالات المعقدة والمستعصية التي تطرحها العلاقة التربوية.

ففي الماضي، كان المدرس مالكا للمعرفة والسلطة، وكان يقوم بتدريس التلاميذ مجموعة من المعلومات والمعارف التي لم تكن موضوعا للتساؤل، ولم يكن الشك ليتطرق إليها من بين يديها أو من خلفها، وكان يمارس سلطة مطلقة على التلاميذ استنادا إلى تفوقه الجسدي والمعرفي، واعتمادا على تفويض المجتمع ومؤازرته له. كما كانت مهنة التعليم تحقق لصاحبها الأمان المادي والمعنوي، وتوفر له التقدير والاعتبار الاجتماعيين، وتضمن له مكانة محترمة داخل المجتمع. إلا أن هذه الوضعية تعرف، حاليا، تغيرات جذرية في الكثير من جوانبها : فلقد تعددت مصادر المعرفة (وسائل الاتصال الجماهيري)، ولم يعد المدرس مصدرها الوحيد، وتقلص دوره «الكاريزمي» ووظيفته الإلقائية، وتراجعت مكانته الاجتماعية وشروط حياته المادية قياسا بفئات مهنية أخرى، وأصبح يعيش تحت رحمة نظام تعليمي مركزي تراتبي، وبنيات بيروقراطية متكلسة، تعرقل نموه

الشخصي والمهني، وتحد من حريته، وتخنق إمكانيات الخلق والتجديد لديه. فكان أن اهتزت، نتيجة للتغيرات السابقة، سلطة المدرس المؤسسية، وغدت عرضة للجدال والاعتراض والتمرد، مما يحتم عليه البحث عن قواعد إسناد أخرى، ومرتكزات بديلة، يبني عليها سلطته التربوية. وأهم هذه المرتكزات، في سياق مقالنا هذا، ومن وجهة نظر سيكولوجية، تأكيد حضوره وقوة شخصيته وثبات توازنه النفسي ونضجه الوجداني، على اعتبار أن «النضج الوجداني الكامل للمربي يحقق له الاطمئنان والثقة بالنفس والقوة الهادئة، ويمكنه من ممارسة سلطته بشكل تلقائي» (موكو، 1978، ص.107). فالسلطة الحقيقية الطبيعية للمربي تنبع من التأكيد الهادئ والحازم لذاته، كما أن العامل الحاسم المحدد للعلاقة التربوية، ولتمثلات ومشاعر التلاميذ نحو المدرس ليس هو صفاته الجسدية، أو تكوينه الأكاديمي والبيداغوجي، أو طريقة ممارسته للسلطة، وإنما هو درجة نضجه الوجداني، وقدرته على ضبط النفس والتحكم في المشاعر الشخصية (كالغضب والخوف)، وتحرره، في ممارسته لسلطته التربوية، من ردود الفعل الانفعالية (موكو، 1978، ص. 102).

من شأن نضج المدرس، وقوة شخصيته، وسيطرته على نفسه، أن يشعر التلاميذ بالأمن والطمأنينة، وأن يساعدهم على السيطرة على أنفسهم، والتحكم في مشاعرهم، والتخلص من ردود أفعالهم الانفعالية العنيفة، والتخلي عن الآليات الدفاعية (مثل الانطواء والمعارضة والعدوانية) التي تتولد، في العادة، عن افتقارهم للأمان الوجداني والاطمئنان النفسي، وهو ما يترتب عنه، في نهاية المطاف، تقبلهم لسلطة المدرس التربوية، واستجابتهم للانضباط الذي يقيمه داخل القسم. ناهيك عن أن المدرس الناضج انفعاليا، والمتزن نفسيا، والواثق من نفسه، يقدم للتلميذ نموذجا قويا وإيجابيا يتقمصه ويتوحد معه، ويمكنه بالاعتماد عليه أن يحقق سيطرته على نفسه، وبناء شخصيته، وتحقيق نضجه الوجداني والاجتماعي. ولما كان النضج الوجداني للمدرس يلعب هذا الدور الحيوي بالنسبة لعلاقته وسلطته التربوية، فإن ذلك يستوجب «أن نواجه تشكيل [تكوين] المعلم من زاوية العلاقات الإنسانية، كما نواجهه من زاوية المعارف الذهنية، ولاسيما من زاوية نضجه العاطفي الخاص، وروابط علاقاته مع تلاميذه ومع الوالدين» (موكو، 1978، ص. 268-269).

## 2. أهداف التكوين السيكولوجي

كان الهدف الأساس للتكوين السيكولوجي، عند إدراجه لأول مرة في برامج تكوين المدرسين، هو تزويد مدرسي المستقبل بمجموعة من المعلومات حول سيكولوجية الطفولة والمراهقة، التي من شأنها أن تساعدهم على معرفة نفسية تلاميذهم، واهتماماتهم، وميولهم، وحاجاتهم، وتمكنهم من تكييف ممارستهم التعليمية وعلاقتهم التربوية معها. كما كان يفترض بأن معرفة المدرس لنفسية تلاميذه ستساهم، عرضيا، في معرفته لذاته، وتحديده للخصائص والاتجاهات الشخصية والمهنية التي ينبغي عليه أن يتصف بها. إلا أن التكوين السيكولوجي للمدرسين لم يعد يقتصر، حاليا، على تدريس بعض فروع علم النفس، بمدارسها وتياراتها المختلفة (علم النفس التكويني، سيكولوجية التعلم، علم النفس الاجتماعي، الخ)، بل أصبح يتضمن «معلومات نظرية في علم النفس، وتكوينا شخصيا، وتكوينا على العلاقة البيداغوجية» (Filloux, 1979, p. 81)، ويتمحور حول شخصية

المدرس، ويستهدف بشكل أساسي تنميتها في أبعادها العقلية والسوسيووجدانية والعلائقية. وسنحاول، في الفقرات الموالية، تناول أهم أهداف التكوين السيكولوجي للمدرسين، أو ما يسمى أيضا بالتكوين الشخصي (la formation personnelle)، دون الإدعاء بأننا سنكون قادرين على الإحاطة الشاملة، الجامعة المانعة، بكل هذه الأهداف.

**1.2.** يأتي في مقدمة أهداف التكوين السيكولوجي مساعدة المدرس على معرفة ذاته، والوعي بها داخل وضعيتها التربوية، نظرا لما لها من أهمية قصوى بالنسبة لصحته النفسية والعقلية وأدائه المهني واندماجه الاجتماعي، ونظرا للدور الشارط الذي تلعبه في تحديد اتجاهاته نحو الآخرين، وفي مقدمتهم التلاميذ، وعلاقاته معهم. من هنا، فإن أنشطة التكوين المتمحور حول شخص المدرس تحثه على أن «يعبر عن ذاته، ويتحرر، وينمي مشاعره وعلاقاته مع الآخرين، ويتعلم أخيرا أن يعرف ذاته» (Baillauquées, 1990, p. 258). فما يعتمل في نفسية الإنسان/المدرس من مشاعر ورغبات وغرائز واستيهامات، وما يجري بدواخله من توترات وصراعات، يؤثر في الطريقة التي يدرك بها العالم الخارجي عامة، والوسط المهني الذي يعمل به خاصة، ويحدد الأسلوب الذي يتعامل به مع الأفراد الذين تربطه بهم علاقة تربوية أو مهنية. وبناء على هذه العلاقة بين «الداخل» و«الخارج»، بين «الذات» و«الغير»، فإن تغيير سلوكات المدرس، وطريقة تدريسه، وعلاقته التربوية مع التلاميذ، يتطلب أن يستهدف التكوين تغيير مفهومه عن ذاته، وتطوير تمثلاته واتجاهاته البيداغوجية، إذ بالتأثير في «الداخل» سنقود المدرس إلى تعديل سلوكه نحو «الخارج».

إن وعي المدرس بذاته، وإدراكه لتمثلاته واتجاهاته الحقيقية، سيساعده على حل التناقض، الذي عادة ما يكون موجودا بين أقواله وأفعاله، بين نواياه وسلوكاته الفعلية، بين الجوهر والمظهر في وجوده، وتحقيق نوع من التوافق بين الشخصية والشخص (Delaire, 1988, p. 53)، وسيعمد إلى تغيير وتطوير تمثلاته واتجاهاته نحو ذاته، ونحو الوضعية التربوية بكل مكوناتها (التلميذ، المعرفة، السلطة، العلاقة التربوية، الخ)، واكتساب اتجاهات وقيم إيجابية، وتنمية قدرات الإنصات والخلق، وتحقيق الذات (بواسطة الإبداع الفني وغيره)، والتحكم في التعبير عن الحياة الوجدانية. ومن هنا، فإن النموذج السيكولوجي للتكوين ينبغي أن يهدف إلى «جعل المدرسين قادرين على تجديد اتجاهاتهم :

- نحو المعرفة ونقل المعلومات ؛
- نحو ذاته، ونحو الآخرين (يتعلق الأمر هنا، أساسا، بإزاحة المخاوف والاستجابات الدفاعية وتحرير القدرة على الخلق، وإقامة علاقات حقيقية) ؛
- نحو المؤسسات، وذلك عن طريق تنمية التحليل النقدي والقدرة على الإبداع «المؤسس créativité instituante» (Ferry, 1985, pp. 215 - 216).

بالإضافة إلى التأثير في المستوى الشعوري من الحياة النفسية للمدرس، فإن التكوين السيكولوجي يسعى إلى مساعدته على معرفة ذاته في بعدها اللاشعوري، واكتشاف الدوافع

العميقة واللاواعية لسلوكه التعليمي وعلاقته التربوية، و«التحسيس بالمظاهر غير المنطقية وغير العقلانية، والمحددات اللاشعورية للفعل المهني اليومي» (Develay, 1994, p. 107).

**2.2.** بارتباط وثيق مع معرفة الذات، يهدف التكوين السيكولوجي، أيضا، إلى الحفاظ على الصحة النفسية والعقلية للمربين، وضمان أفضل اندماج ممكن لشخصياتهم، ومساعدتهم على التخلص من الأساليب الدفاعية، واستعادة الثقة في الذات. فالوضعية التربوية التي يعمل فيها المدرس، تزخر بالعوامل المؤدية إلى اهتزاز ثقته في نفسه، وتعرض شخصيته للاضطرابات النفسية والعقلية أحيانا، مما يدفعه إلى اللجوء إلى الأساليب الدفاعية لحماية صورته عن ذاته من الانهيار، والتخلص، ولو مؤقتا، من مشاعر القلق والتوتر. والتكوين السيكولوجي يمكنه أن يساعد المدرس على مواجهة هذه الوضعية، والتخفيف من شعوره بالذنب تجاه أزمة النظام التعليمي بكل مظاهرها، وتثمين الصورة التي لديه عن ذاته، واستعادة ثقته في نفسه، والتخلي عن آلياته الدفاعية، والتخلص من الشلل الفكري الذي يعاني منه، لكي يصبح أكثر تحررا وانفتاحا وإيجابية في علاقته مع الآخرين، وأكثر قدرة على المبادرة والتجديد والإبداع في ممارسته التربوية التعليمية.

يمر نجاح التكوين السيكولوجي في حماية شخصية المدرس، والحفاظ على صحته النفسية والعقلية، عبر مساعدته على مواجهة مشاكله الشخصية والمهنية، وإيجاد الحلول الكفيلة بالتغلب عليها. فالكثير من المدرسين، وخاصة المبتدئين منهم، يعانون من عدة مشاكل على مستوى ثقتهم بأنفسهم ونضج شخصياتهم، وتشتكي منهم الأطراف التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهم (تلاميذ، زملاء، إداريون، آباء). في محاولة لمعالجة هذه المشاكل، عادة ما يتم اختزالها في بعديها البيداغوجي والإداري، فيستدعى «المفتش» لمعاينة هذه «الحالة» وكتابة تقرير عنها يتضمن بعض النصائح الديداكتيكية المحضة، و/أو ينقل المدرس ـ المشكل إلى أماكن عمل أخرى. إلا أن مثل هذه الإجراءات لا تحل المشكل بقدر ما تزيده تعقيدا ؛ بحيث تظل صعوبات المدرس البيداغوجية والعلائقية قائمة، بل قد تتفاقم حدتها، ويتزايد سخط المدرس وتذمره، وبالتالي تتضخم الاضطرابات السلوكية التي يعاني منها، في حين أن الأولى الاستعانة بمقاربة سيكولوجية لمعالجة مثل هذه المشاكل، والسعي إلى التأثير في شخصية المدرس وتطويرها في الاتجاه السليم.

**3.2.** مساعدة المدرس على تدبير الوضعية التربوية باعتبارها وضعية عنف (situation de violence) «رمزي» و«مادي»، عنف متبادل بين المدرسين والآخرين (التلاميذ، الزملاء، الإداريون)، بل وعنف ذاتي يوجهه المدرس إلى نفسه (الشعور بالذنب، المشاكل النفسية). والتكوين السيكولوجي في مقدوره أن يساعد المدرس، من خلال تحليل ودراسة وضعيات العنف التي يصادفها أثناء مزاولته لمهنته، على تدبير هذا العنف، وتصريفه عبر قنوات سليمة وبناءة.

**4.2.** تمثل أنشطة التكوين السيكولوجي فرصة ذهبية لفك العزلة عن المدرسين، بحكم ما عرف عنهم من نزوع قوي إلى الانفراد بشؤونهم المهنية الخاصة داخل أقسامهم الدراسية، دون أدنى شكل من أشكال التعاون أو التواصل فيما بينهم. كما أن جلسات التكوين السيكولوجي تشجع على اللقاءات والتبادلات مع الآخرين، سواء كانوا مدرسين أو عمال اجتماعيين من مختلف

المهن الأخرى. وكما يقول جاك نيميي، فإن «العمل السيكولوجي يساعد على إسقاط بعض الحواجز، ويشجع (على تنظيم) لقاءات داخل سياق جديد» (Nimier, 1996, p. 33)، سياق بعيد كل البعد عن ضغوط المهنة وانشغالاتها اليومية.

إجمالا، فإن الهدف الأساس للتكوين السيكولوجي للمدرسين، والذي تتفرع عنه كل الأهداف الأخرى، هو تنمية شخصية المدرس، وتطوير خصاله الإنسانية، وضمان نموه النفسي وتوازنه السوسيووجداني. إلا أن اعتراف التكوين السيكولوجي بأهمية شخصية المدرس في العملية التعليمية، بالمقارنة مع معارفه الأكاديمية ومهاراته الديداكتيكية، واستهدافه التأثير فيها، يدفعنا إلى التحذير من بعض المزالق التي قد يسقط فيها هذا التكوين، ومنها :

- الاعتقاد بأن المدرس سيظل طيلة حياته المهنية تحت رحمة «حتمية سيكوبيداغوجية» لا خلاص له منها، وأن شخصيته كراشد، على عكس شخصية الطفل، شخصية قارة وثابتة، ولن يستطيع أي تكوين تغييرها، أو التأثير في صفاتها ومكوناتها. فمثل هذا الاعتقاد ـ الذي يروج له أنصار التصور الحرفي للتعليم، وخصوم التكوين عامة، والتكوين السيكولوجي خاصة ـ يتناقض مع الحقائق السيكولوجية التي أوضحت بأن شخصية المدرس/البالغ رغم تشكل ملامحها الأساسية، وبلوغها درجة معينة من النضج والاستقرار، فإنها تظل قابلة للتغيير والتكيف مع المستجدات المهنية. فالمدرس، وهو يزاول مهنته، لا يؤثر في تلاميذه فقط، بل يؤثر في شخصيته أيضا، ويسعى إلى تطوير خصائصها واتجاهاتها، ويتعلم منهم وهو يعلمهم، ويعمل على تكوين وإعادة تشكيل شخصيته بقدر ما يعمل على تكوين شخصياتهم. فالعلاقة التربوية بين المدرس والتلاميذ علاقة جدلية، علاقة أخذ وعطاء، تأثير وتأثر. من هنا، فإن تكوين المدرسين، كما يقول ج. طوراي، «ينبغي أن يساهم في خلق وعي بإمكانيات التدخل الهادفة إلى تزويد هؤلاء المدرسين بإمكانية التأثير في سلوكاتهم وتعديل بعض الجوانب من شخصيتهم» (Toraille, 1974, pp. 121 - 122).
- تحويل التكوين السيكولوجي إلى نوع من العلاج النفسي للطلبة المتدربين، وتجاهل أن المدرسين قيد التكوين ليسوا مرضى نفسيين، وأن مؤسسات التكوين ليست مصحات للعلاج النفسي.
- تنطع المدرس الذي تلقى تكوينا سيكولوجيا إلى أن يلعب دور عالم نفس، أو أن ينصب نفسه معالجا لمشاكل التلاميذ النفسية، ويدعي لنفسه القدرة على تشخيص المشاكل البيداغوجية تشخيصا سيكولوجيا، واقتراح حلول لها على ضوء ذلك.

## 3. طرق التكوين السيكولوجي

من الطرق والأساليب المستعملة في التكوين السيكولوجي للمدرسين : ملاحظة الذات (Autoscopie)، والمحاكاة (Simulation)، والسيكودراما (Psychodrame)، والتعليم المصغر

(Enseignement programmé)، حيث يتمكن المتدرب، أثناء هذه الأنشطة التكوينية، من ملاحظة ومعرفة ذاته في وضعيتها المهنية، وتحليل سلوكاته وعلاقاته التربوية الفعلية مع التلاميذ، والوعي بالفروق الموجودة بين تمثلاته واتجاهاته المعلنة من جهة، وسلوكاته الفعلية من جهة أخرى، والعمل بالتالي على التنسيق بينها، وتغيير ما ينبغي تغييره منها. ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذه الأساليب والطرق التكوينية عبارة عن تقنيات للعمل تتجاوز الهدف السلوكي الظاهري، المتمثل في تدريب المدرس على سلوكات تعليمية ومهارات ديداكتيكية، وتسعى إلى التأثير في شخصيته برمتها، خاصة في جانبها السوسيووجداني، وطريقته في التفكير والشعور والعمل، وأسلوبه في التعامل مع التلاميذ داخل جماعة القسم.

بشكل عام، تستند المقاربة السيكولوجية لتكوين المدرسين على الإسهامات النظرية والمنهجية لعلم النفس بفروعه ومدارسه المختلفة، حيث تتم الاستفادة، أثناء تحليل الاتجاهات والسلوكات التربوية للمدرسين، من النماذج التفسيرية للتحليل النفسي، والمدرسة السلوكية، وعلم النفس الاجتماعي، والتيار المؤسسي، وعلم النفس الإنساني، إما بالاستفادة من كل نموذج على حدة أو منها جميعها في نفس الوقت.

## 4. تقييم التكوين السيكولوجي

رغم الأهمية الحيوية التي تكتسيها المقاربة السيكولوجية للتكوين، بحكم إثارتها الانتباه إلى الدور الجوهري الذي تلعبه شخصية المدرس في العملية التعليمية والعلاقة التربوية، فإنه يعاب عليها كونها تختزل شخصية المدرس في مظهرها النفسي الفرداني المحض، وتغض الطرف عن ظروفها المهنية وشروطها الاجتماعية، وتتعامل مع المدرس كما لو كان شخصا منعزلا عن بقية الأشخاص الآخرين، ناسية أو متناسية أن المدرس، في حقيقة الأمر، كائن اجتماعي يتفاعل باستمرار مع بقية الفاعلين الاجتماعيين/ التربويين الآخرين، ويقيم مع شركائه في المؤسسة التعليمية (المدرسون الآخرون والإداريون) وفي جماعة القسم (التلاميذ) علاقات بينشخصية وجماعية.

إن التدريس مهنة علائقية، وصيرورة اجتماعية، تفرض على المدرس انخراطا مستمرا في المجال الإنساني، وتفهما للآخرين، وفي مقدمتهم التلاميذ، الذين تقع على عاتقه مهمة تربيتهم وتعليمهم، وتبني اتجاهات بيداغوجية إيجابية حيالهم، من شأنها أن تمنحهم الشعور بالأمان، وتساعدهم على النمو الشخصي، والنجاح المهني، والاندماج الاجتماعي، وكل ذلك داخل وسط مؤسسي واجتماعي يشرط وجود الشخص/المدرس وممارسته المهنية، ويحدد لها غاياتها ووسائلها ؛ بحيث أن تكوين شخصية المدرس، والاعتناء بصحته النفسية والعقلية، لن تكون له أدنى فائدة، إذا نحن لم نعمل بنفس الحماس والفعالية على تغيير وتطوير الشروط المادية والإدارية والنفسية والاجتماعية التي يعمل فيها. فلا يكفي أن نعرف الذات، ونعي استيهاماتها وميولها واتجاهاتها، رغم الأهمية القصوى لهذه المعرفة، ولهذا الوعي، بل لابد أيضا أن نعي العالم المحيط بنا، وأن نؤثر فيه كما يؤثر فينا، وأن نتبادل معه الفعل ورد الفعل، وأن نتفاعل مع أعضائه فرادى وجماعات، وأن نعمل على تغييره وتطويره. إن شخصية المدرس، وعلى عكس ما توحي به المقاربة

السيكولوجية للتكوين، لا يمكن أن تنفصل مطلقا عن شروط وجودها الاجتماعي والثقافي، وعن انشغالات وظروف مهنتها التعليمية، وعن تفاعلاتها الديناميكية مع شركائها في العلاقة التربوية، وهو ما تحاول أن تأخذه بعين الاعتبار مقاربة أخرى من مقاربات تكوين المدرسين، ألا وهي المقاربة السيكوسوسيولوجية، التي نتمنى صادقين أن تتاح لنا فرصة تناولها بالدراسة والتحليل والتقييم في القريب العاجل.

## خلاصة

اتضحت لنا، من العرض السابق، تاريخية وديناميكية تكوين المدرسين، مفهوما وتجارب، تنظيرا وممارسة، وانتقاله من أحادية التعاطي إلى تعدد المقاربات والنماذج والتجارب التكوينية، ومن التركيز على المعارف (المقاربة الأكاديمية) والمهارات المهنية (المقاربة البيداغوجية/الديداكتيكية) إلى الاهتمام بشخصية المدرس (المقاربة السيكولوجية). إلا أن هذه التطورات في مفهوم وإشكالية تكوين المدرسين لم يكن لها، مع كامل الأسف، كبير صدى في سياسة تكوين المدرسين في المغرب، حيث نلاحظ سيطرة تكاد تكون شبه تامة للمقاربتين الأكاديمية والبيداغوجية/الديداكتيكية على برامج التكوين، بكل ما لهما من نتائج سلبية بالنسبة لتطور التكوين والتعليم، وإعداد المدرسين للقيام بالأدوار التربوية الحديثة، الأمر الذي يطرح بحدة ضرورة تجاوز هذه الوضعية، وتحديث مقاربات وبرامج التكوين في بلادنا.

إن السياسة التعليمية في المجتمع المغربي مطالبة، في بنائها لبرامج تكوين المدرسين، بتبني نظرة شمولية، تأخذ بعين الاعتبار أكثر من مقاربة تكوينية، وتنطلق من الإيمان بأن التمكن من مضامين المادة الدراسية، وإتقان طرق وتقنيات تدريسها، وإن كانا شرطين ضروريين لقيام المدرسين بمهامهم التعليمية وأدائهم لأدوارهم المهنية، إلا أنهما يظلان، مع ذلك، شرطين غير كافيين، ولابد من الاهتمام أيضا بالتكوين السيكولوجي للمدرسين، للمبررات والأسباب التي سبق لنا أن شرحناها. فالمدرسون لا يدرسون بمعلوماتهم الأكاديمية (مادة أو مواد التخصص) ولا بمهاراتهم البيداغوجية والديداكتيكية (طرق وتقنيات التدريس) فحسب، ولكنهم يدرسون أيضا، وربما أساسا، بشخصياتهم.

# المراجـــع


- المملكة المغربية (1968). المخطط الخماسي، 1968-1972، الجزء الثاني.
- موكو، جورج (1978). التربية الوجدانية والمزاجية للطفل، ترجمة منير العصرة ونظمي لوقا، القاهرة : دار المعرفة.
- وزارة التربية الوطنية (1983). منجزات وآفاق.
- BAILLAUQUÉES, S.(1990). La formation psychologique des instituteurs, Paris: P.U.F.
- BAINA, A. (1981). Le système de l'enseignement au Maroc, T. 2, Casablanca : Les éditions Maghrébines
- DELAIRE, G. (1988). Enseigner ou la dynamique d'une relation, Paris : les éditions d'organisation
- DEVELAY, M. (1994). Peut-on former les enseignants? Paris: E.S.F.
- FERRY, G. (1985) La pratique du travail en groupe, Paris: Dunod
- FILLOUX, J. (1979). La formation psychologique des enseignants, In : colloque sur la formation des enseignants, 18, 19, 20 Octobre, p.p. 77-86
- MIALARET, G. et coll. (1979). Vocabulaire de l'éducation et sciences de l'éducation, Paris : P.U.F.
- NIMIER, J. (1996). La formation psychologique des enseignants, Paris : E.S.F.
- TORAILLE, R. (1974). Les écoles normales et leur avenir, In : George, G. et al., la formation des maîtres, Paris : E.S.F., p.p. 111-138